الإتجاه الوجداني بين إبراهيم ناجي والتجاني يوسف بشير

أواب أحمد جعفر و محمد على أحمد

جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا – كلية اللغات – قسم اللغة العربية

المستخلص:

هدفت هذه الدراسة بتعريف الوجدانية وأهم سمات الوجدانية، وعرض الخصائص الفنية للشعر الوجداني لدى الشاعرين.

فقد اشتهر كلاهما بالاتجاه الرومانسي وهو جزء من الوجدانية، ومحاولة الربط بين الشعراء الوجدانيين في القاموس الشعري والمعاني الوجدانية، وإيضاح التطور في الشعر الوجداني لدى كلا الشاعرين ومدى تطور وتبادل الاتجاهات الوجدانية والمفردات والقوالب اللغوية وصيرورتها بين الشاعرين.

تناول البحث أيضاً الغزل والرثاء والشكوى، هذه الموضوعات تتجلى فيها الوجدانية بشكل قوي لارتباطها بالوجدان ومن خلال المقارنة بين الشاعرين عمدنا على تلمس أثر البيئة فيهما خاصة أنهما ترعرعا في بيئتين مختلفتين جغرافيا واجتماعيا.

الكلمات المفتاحية: الوجدانية – الغزل – الشكوى.

ABSTRACT:

The purpose of this topic the study definition of compassioate and the most important attributes of empathy and display the technical characteristics of the poety emotional when poest both have famously balathoh romantic part of acompassitionate attemet to link the poest alleys valleys in the dictionary and poetic meanings sentimental and clarify the evolution of poetry emotional at all the poets and the extent of the development and exchanye of emofional attitudes and vocabulary and templates and enduring between poest.

Reseach also spinning and self – pity and complaing, all these topics explain to us the meaning of empathy and emotional around him from his house and show his emotional.

المقدمة:

الحمد الله رب العالمين، خالق كل شئ المبدع، الواحد، الأحد والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله وعلى آله، القائل (إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا).

لا شك أن الشعر وليد أحداث الحياة فالشاعر بإحساسه المرهف وحسه اللغوي الرقيق يمد الألفاظ بمعاني جديدة وقد يخرق قاعدة ما مدفوعاً بحسه الفني فلا يسئ إلى اللغة ولكن يمدها إلى الأمام ولذلك كان الصراع أشده بين لقديم الذي يأبى أن يفسح المجال للحاضر والآتي متمسكاً بكبريائه ومعتمداً على هيبته وعراقته وبين الحديث الذي يأبى هو الآخر إلأ أن يكون السيد في زمانه ومكانه، وكانت الغلبة دوماً وإن طال بها الأمر من نصيب التجديد الذي يحاول نزع غبار التقليد عن أعينه فيسمو مشرئباً في طريقه إلى الأمام بثوب قشيب يعكس واقعه ويعبر عن أحاسيسه بصدق وأمانة.

ولاشك في أن الشاعرين إبراهيم ناجي والتجاني يوسف بشير من أولئك النفر متغلبين بذلك على الجمود والتقليد الأعمى مؤكدين أن الشعر لا يمكن حصره في قواعد وأُطر واحدة واجبة الإتباع، دون تجديد أو إبتداع.

وهكذا كانت المدرسة الوجدانية التي ظهرت في العالم العربي في مطلع هذا القرن وخلقت ثورة على التقاليد الأدبية السائدة ثم ما لبثت أن تربعت وتربع شعراؤها على العرش وقد كان ناجي والتجاني من أعلام هذه الحركة وإن تفاوتا في الثقافة والمعرفة وطرق التعبير فإنهما اشتركا في صدق الإحساس وقوة العاطفة والإخلاص في التعبير عن الحياة بعد أن سكبا عصارة أحاسيسهما على القرطاس، وجمعهما النزوع الوجداني وخلفا آثاراً وجدانية باقية وأغنيا الترث الأدبي. ولقد كانت حياتهما مثلاً للفنان الخلاق الأصيل وللإنسان المثالي الحر.

ولأهمية هذه الحركة الأدبية (الإتجاه الوجداني) في تاريخ الأدب العربي المعاصر ولأهمية التجاني يوسف بشير في الأدب السوداني المعاصر، ولمكانة ناجي السامقة بين الشعراء جاء اختياري للموازنة بينهما لدراسة الظواهر الوجدانية في شعرهما ومدى تأثرهما ودورهما فيها.

ويستطيع القارئ الكريم أن يقف بنفسه على حقيقة ما دار حول اتهام ناجي بأخذ شعر التجاني وهل يمكن أن يكون ذلك صحيحاً وليرى مدى الإختلاف بين شعرهما والذي جاء نتيجة حتمية لإختلاف بيئتهما وثقافتهما وظروفهما الاقتصادية والاجتماعية، وأهُف أخيراً من اختياري لهذا الموضوع، أن أضيف إلى المكتبة السودانية في محاولة لدفع مسيرة النقد الأدبي في السودان.

ولا أدّعي بأني كنت سبّاقاً في هذا المجال فقد حفلت المكتبات بالعديد من الدراسات عن عبقرية التجاني وشاعريته، ولكن هذه الدراسات على كثرتها قل من تطرق فيها لوجدانيته بالتفصيل أو أثبتها التحليل والمقارنة كما وردت في هذا البحث ويكفي دليلاً على ذلك مقارنته بناجي شاعر الوجدانية الأول عند معظم النقاد.

ومن أهم مصادر هذا البحث كتاب (الإتجاه والوجداني) للدكتور عبد القادر القط، وتبدو أهمية آرائه في أنه أول من تناول الوجدانية مذهباً مختلفاً عن الرومانسية خلافاً لمن سبقه من النقاد إذا لم يجعلوا للوجدانية خصائص تميزها عن الرومانسية، بل أطلقوا عليها في معظم الأحيان الرومانسية.

أما أهم المصادر لحياة الشاعرين فيتمثل بالنسبة لابراهيم ناجي في مقدمة (ديوان ناجي) الصادر عام 1961م إذ أنها أول ما كتب عن حياة الشاعر قريباً من وفاته، علاوة على أن كُتّاب الديوان كانوا أقرب الناس إليه وهذا هو سر تكليف وزارة الإرشاد القومي بمصر لهم.

أما بالنسبة للتجاني يوسف بشير فقط كان بحث الأستاذ جاد الله الطاهر النذير الذي قدمه لنيل درجة الماجستير في جامعة الخرطوم بعنوان (التجاني يوسف بشير– عصره– حياته– شعره) أهم المصادر والدراسات السابقة على الإطلاق حيث أنه قابل أقرب الأشخاص إلى التجاني مثل والده وأصحاب المكتبات التي كان يرتادها للإطلاع، وكان شاملاً للجوانب المحيطة بالتجاني وشعره، غير انه قريب عهد بتلك الفترة. وإضافة إلى ذلك فهناك كتاب الدكتور أحمد محمد البدوي (التجاني يوسف بشير– لوحة وإطار) وكتاب الأستاذ هنري رياض (التجاني شاعراً وناثراً) وكتاب الدكتور عبد المجيد عابدين (التجاني شاعر الجمال) وهو الرائد في هذا المجال. وهناك بحث مقدم في كلية دار العلوم بالقاهرة لنيل درجة الماجستير من الأستاذ بدر الدين هاشم بعنوان (التجاني يوسف بشير– دراسة نقدية لتجربته الشعرية عام 1987م).

وقد واجه هذا البحث بعض المعوقات في بدايته وكان أهمها عدم توافر بعض المراجع الهامة خاصة (ديوان إشراقة) حتى إضطررت لنقله ليكون معي طوال الوقت، ولم لم أفعل ذلك لكنت مضطر لتغيير موضوع الدراسة لموضوع آخر. وهناك مراجع اخرى لم استطع الحصول عليها حتى اكتمل البحث وهي (ناجي الشاعر) لنعمات أحمد فؤاد و (ناجي وحياته وشعره) لصالح جودت وهي غير متوافرة بالمكتبات العامة.

وقد اقتضت خطة الدراسة المتبعة في هذا البحث أن أتبع المنهج الوصفي والنقدي والتحليلي

وبعد أن تم هذا البحث بحمد الله لا يسعني إلا أن أشكر عدة جهات كانت صاحبة الفضل الأكبر في إنجازه وهي الأستاذ الدكتور (محمد علي أحمد عمر)، ولا أشكره لأنه أشرف على البحث إشرافاً علمياً وإنما أشكر فيه أخلاقه العالية التي تمثلت في استقبالي الكريم في داره ومدي بالكتب والمراجع وترحيبه بي في كل الأوقات فقد تعلمت من أدبه الجم قبل أن أُنهي بحثي.

والشكر كل الشكر لأسرة الشاعر التجاني يوسف بشير للحفاوة وحسن الإستقبال.

وعميق شكري وتقديري لأسرة مكتبة السودان الذين قضين في ضيافتهم الكريمة شهوراً طويلة.

إبراهيم أحمد ناجي:

هو ابراهيم أحمد ناجي القمبجي، ولد بـ(شبرا) في ديسمبر 1898م، لأب يعمل في مصلحة التلغراف وكان مثقفاً يتقن الإنجليزية والإيطالية ويحسن الفرنسية. وله مكتبة أدبية كبيرة أثرت في تشكيل ميول شاعرنا الأدبية وكان ناجي يرى والده أنه معلمه الأول وأول هادٍ له وأمه السيدة (بهية) بنت السيد مصطفى سعودي وكانت تُمت إلى زوجها بصلة القرابة مما أورث أعقابهما ضعفاً مختلف الأشكال ولم يولد ناجي وبه علة ظاهرة لولا ضآلته واعتلال صوره وقد صاحبته هاتان العلتان إلى آخر حياته (شعر ناجي الموقف والارادة، طه وادي ط1، ص65).

وفي عام 1932م أنشئت جماعة أبولو وعين وكيلاً لها كما كان أحد المحررين البارزين في مجلتها وبإنقضاء عام 1934م، وانقضت مرحلة هامة في حياة الشاعر وذلك لأنه أخرج ديوانه الأول (وراء الغمام) الذي لاقى هجوماً عنيفاً من طه حسين والعقاد وأثر ذلك في نفسه رغم أن جميع أعضاء جماعة أبولو انبروا يدافعون عنه على صفحات مجلتهم وعلى صفحات جميع الصحف والمجلات ولكن كل ذلك لم يخفف عنه وكان هو وقت صدور الديوان بلندن في مهمة علمية فقرأ الهجوم الذي كتب في ديوانه فقرر إعتزال الأدب وبعد فترة من الهجوم كتب الدكتور طه حسين مقالاً طيب فيه خاطر ناجي فعاد إثر ذلك لكتابة الشعر فمرت هذه الأزمة ومعها أزمة اخرى كان يعاني الشاعر فيها من زملائه في العمل بمصلحة السكة حديد فإنتهت بتركه لها وتحوله عنها رئيساً للقسم الطبي بوزارة الأوقاف وطابت أيامه في الأوقاف في عهد الوزير دسوقي أباظة الذي جاء به إلى هذا المنصب وعندما ذهب دارت حوله الدسائس واتهم بأنه غير منتج وأنه منصرف للشعر والأدب عن الطب وانتهى الأمر بإخراجه عن وظيفته عقب الثورة وذلك في أواخر عام 1952م وكانت هذه صدمة قوية من الناحيتين النفسية والمالية وذاق قسوة الضنك والحرمان لأول مرة في حياته.

وفي 23 مارس عام 1953م كان يدني أذنه من قلب مريض في عيادته ليتسمع دقاته فإذا به يهوي على الأرض ويرقد إلى جوار جده لأمه الشيخ عبد الله الشرقاوي في مسجده بجوار مسجد الحسين رضي الله عنه.

ثقافته:

إن ناجي كان يحفظ ديوان الشريف الرضي منذ أن كان طفلا وأنه قرأ شعر شوقي وكان يردد دائماً أنه تأثر بالمتنبئ وبأنه أحبه لرجولته التي تبدو في كل بيت ولأنه إنسان يتحدث بلسان الإنسانية ويشرح القلق المستمر في أعماقها (جماعة أبولو وأثرها في الشعر العربي، ص425) ويتضح من جملة أعماله الشعرية ومما كتب عنه أن علاقته بتراث الشعر العربي علاقة قوية وأنه استوعب وقرأ كثيراً في التراث القديم والحديث، وعلى أن ثقافته لم تكن ثقافة عربية فحسب بل كانت أيضاً ثقافة غربية تؤكدها كل المصادر التي ذكرت أن ناجي قرأ كتاب

شارلس دكتر منذ نهاية المرحلة الإبتدائية. وقد ترجع في ديوانه وراء الغمام قصائد الألماني (هينة) والفرنسي (الفرد دي موسيه) و (لامارتين) وقد كتب مقالة عن الروائي (ويلز) وترجم قصصاً (لتشارلز مورجان) الإنجليزي.

شعره وشاعريته:

أصدر ناجي ديوانه الأول (وراء الغمام) عام (1934م) ويحتوي ديوانه على إحدى وخمسين قصيدة وثلاث مقطوعات ويصدق على هذا الديوان قول مقدمة أحمد الصاوي يكاد الديوان أن يكون قصيدة حب واحدة وموضوعاته كلها تمثل إتصالاص مباشراً بالقلب والوجدان وبه بعض القصائد في رثاء الشاعر (أحمد شوقي).

وقد انتقد الديوان عند صدوره العقاد ولقب ناجي بـ (شاعر الرقة العاطفية) واتهمه بالسرقة منه. كما أنتقده طه حسين نقداً قاسياً كاد يصدفه عن قول الشعر واعتبر أشعاره حسنة ولكنها اشعار صالونات لا تكاد تخرج إلى الهواء حتى يأخذها البرد وأخذ عليه بعض المآخذ اللغوية، وقد تأثر ناجي بهذا النقد وقرر إعتزال الأدب لأنه كان ينتظر من إمام التجديد أن ينظر إليه بعين التقدير والإرتياح فوجه إليه رسالة فيها دفاع حاد عن شعره وقرأ طه حسين رده وتأثر به وكتب إليه رداً يحمل التقدير له ولشعره وهو حديث طويل جاء في آخره (إن ناجي موفق فيما ذهب إليه من المعاني موفق في إختيار الالفاظ– موفق فيما اتخذ من الأساليب، معانيه جيدة تصل أحياناً إلى الروعة، ألفاظه جيدة قد يعظم حفظها من المتانة والرصانة وأساليبه جيدة أيضاً عظيمة الحظ من الصفاء لا يفسدها العوج ولايفسدها الإلتواء في كثير من الأحيان، شاعر مجيد، تألفه النفس ويصبو إليه القلب، يأنس إليه قارئه أحياناً ويطرب له سامعه دائماً). وهدأت نفس الشاعر وعاد إلى دوحته المحبوبة– دنيا الشعر– (ديوان ناجي، بقلم سامي الكيال، ص356).

أما اسم الديوان فقد حلله شاعر الشام الاستاذ سفيق جبري عندما كتب عن الديوان في مقال نشره في مجلة (الحديث) فقال: (لست فيلسوفاً في اللغة فلا أعرف شيئاً عن حياة الألفاظ، كيف ولدت وكيف عاشت وكيف ماتت طائفة منها. وإنما الذي أراه بين الغمام بمعنى السحابة وبين الغم والغمة والغماء بمعنى الكرب صلة، فالمادة واحدة ومن يدري فلعل الغمامة والغم نسبة روية فهذه السحب في السماء تشبه هذا الكرب المزدحم على الصدر، فإذا صحت هذه الفلسفة اللغوية وكان الدكتور ابراهيم ناجي يعلم بأن بين الغم وبين اسم ديوانه وراء الغمام صلة روحية. فإذا صح هذا كله فالدكتور ابراهيم ناجي شاحر حتى في هذا الاسم الذي اختاره لديوانه).

وقد علق عليه الدكتور أحمد هيكل قائلاً: (أن اسم الديوان يوحي بأن ناجي شاعر محلق في سماء الشعر بعيد عن عالم الأرض غير مبتهج في هذا التحليق وانما هو وراء غمام من الهموم القاتمة تجعله يرى كل شئ وقد اكتسى غلالة رمادية تجعله لايرى شيئاً على حقيقته بعد أن حال الغمام بينه وبين الاشياء).

أصدر ناجي ديوانه الثاني (ليلي القاهرة) عام (1939م) وهو امتداد في موضوعاته للديوان الأول غير انه تضمن بعض قصائد المدح والرثاء والإخوانيات وذلك لأنه حمل مشاعر الوفاء والعرفان بالجميل لمن وقفوا معه في محنة الديوان الأول، كما تقتضي ذلك طبيعة المجتمع الذي كان يعيش فيه، ويحفل بحفلات التكريم خاصة وأنه ذو مركز مرموق في وزارة الصحة– وهذا الشعر بالنسبة له هو شعر الصنعة لا شعر الطبع.

وأخرج عام (1946م) ديوانه الثالث (في معبد الليل) وهو ديوان صغير، وبعد وفاته بأربع سنوات طبعت دار المعارف بمصر ديوانه الرابع (الطائر الجريح) ولم يكن ناجي هو الذي اختار هذه التسمية بل هي من إختيار أحمد رامي الذي أطلق عنوان إحدى قصائد الديوان التي عثر عليها لناجي.

وفي عام (1961م) ألفت الحكومة لجنة لجمع دواوينه وماتفرق من نظمه وكانت تتكون من الأدباء أحمد رامي وصالح جودت وأحمد عبد المقصود وهيكل وشقيقه محمد ناجي فجمعوا شعره وغير المنشور وأشرفت على هذا العمل وزارة الثاقافة والإرشاد القومي في جمهورية مصر العربية ونشر شعره في ديوان ضخم سميَّ (ديوان ناجي) وقد وردت مجموعه قصائد ليست من نظم الشاعر هذه القصائد ذكرها صاحب كتاب الأعلام بأنها اثنتا عشر قصيدة ولم يذكر صاحبها. وقال خفاجي: (أنها ثلاث عشر قصيدة لكمال نشأت وواحدة لعلي محمود طه وقد صودر هذا الديوان فور صدوره).

العوامل المؤثرة في شعر ناجي:

لا بد أن هنناك عدة عوامل تضافرت لتخلق من ناجي شاعر رومانسي لا يبارى في هذا المجال، وبعض هذه العوامل خاصة باسرته والجو المحيط به مما أكسبه طابعاً ذا شكل محدد جعله يسير في هذا الإطار و بعض هذه العوامل خاصة بالظروف الاجتماعية والسياسية من حوله.

إتفقت جميع الدراسات أن والد ناجي هو معلمه الأول وهومن تفتحت شاعريته على يديه وقد أكد هو نفسه ذلك حينما قال: (إن أباه كان يقرأ عليه ديكتر وكونان وغيرهم

أما دار العودة ببيروت والتي تشرت شعر ناجي عام (1973م) فقد أخرجت منه مجموعة القصائد التي ليست من نظمه ونشرت قصائد كل الديوان كما كانت منشورة اصلاً في دواوينه كالآتي:(وراء الغمام) أولاً، تلاه ديوان (ليالي القاهرة) ثم (الطائر الجريح) ثم (في معبد الليل) وقد اعتمد هذا الديوان في دراستي وذلك لأنه المرجع الأساسي الآن لدراسة شعر ناجي لمن أراد دراسة شعره كما قال: (طه وادي) الذي اعتمد عليه في كتابه (شعر ناجي– الموقف والاداة).

لا نعتقد أننا نستطيع الإتيان بجديد حول الحديث عن شاعرية ناجي، فقد تحدث عنه الأدباء والنقاد وأوفوا شاعريته حقها وخير مثال لذلك ما قاله خفاجي في أنه (يوائم بين تجربته وصياغته حتى ليخلق هذه التجربة في عقولنا فنرى ما يراه ونتأثر بما تأثر به ونبكي معه حين يبكي ويرى أنه واسطة العقد بين كوكبة الشعراء المصريين المجددين) أما الدكتور شوقي ضيف فقد وصفه (بأنه كان فراشة تحوم دائماً على مصباح الهوى ولا تلبث أ ن تتلظى بنيرانه وتحيل ألمها بهذا اللظى بل احتراقها فيه شعراً يأخذ مجامع القلوب بصدقه وحرارته وقوة تأثيره). كما قال عنه مصطفى السحرتي: (كلما مضت الأيام ونضبت المواهب وسادت عامية الأذواق افتقدنا الشاعر الذي ذهب ولم يعد وتلمسنا النور الذي أضاء وانطفأ وتمثل لنا ناجي في قمة مجده وعنفوان خلوده، شاعراً غنائياً فريداً بين شعرائنا المعاصرين وموهبة كاملة الإبداع والتجديد وعبقرية لم تستطع السنون أن تمحو صداها هذا الصدى البعيد الذي يهتف من أعماق الأبدية ويذكرنا بناجي وجهاده الأدبي ومنزلته من الأدب المعاصر، ولا نكاد اليوم نجد شاعراً معاصراً يُضارع ابراهيم ناجي في فنه الغنائي الذي يتميز عند الشعراء المعاصرين).

(وأنه ظاهرة شعرية بهرت بيئتنا الأدبية في مطلع الثلث الثاني من هذا القرن، شاعريته غنائية وجدانية مبدعة عندما يسطر النقد الأدبي الصادق فسوف يسجل بمداد من ذهب أثر ناجي الأدبي البارز في فن الشعر الشرقي المعاصر وسوف يسجل له ابداعه التعبيري وصدقه الوجداني وهما جناحا الشاعر النابغة على مر العصور) (شعراء مجددون، ص96).

نستطيع أن نؤكد مما ذكرنا في السطور السابقة أن ناجي كتب شعراً وجدانياً ينبض بحيوية دفاقة، وفيه طلاقة تعبيرية تدل على دقته وقوة تفكيره وتصوير شفاف يدلل على نشاطه وقوة ابتكاره وتجاربه الشعرية العميقة تنطق بإخلاص وصدق واسلوب تلقائي خالٍ من الإفتعال.

إرتبط شعره إرتباطاً وثيقاً بنفسه كما ارتبط بالمترع الرومانسي الغربي وشعره وجداني يصور نفسهه وانفعالاته ونفسه دائمة الظمأ إلى الحب وهو يصرخ دائماً صرخات تدل على الهزيمة.

التجاني يوسف بشير:

هو أحمد التجاني بن يوسف بن الأمام بشير الفكي جزري الكتيابي، ولد بأمدرمان يوم الأربعاء 28 فبراير 1912م لأسرة تنتسب إلى قبيلة الجعليين وهي غنية عن التعريف في السودان إذ إشتهرت بالكرم والشجاعة والمكانة الاجتماعية التي تجعلها في مصاف أكبر القبائل، ولقد تفرقت من ناحية المسكن في مختلف أنحاء السودان ولكن مركز ثقلها من الشلال الثالث جنوباً إلى عطبرة شمالاً وتشمل الضفتين الشرقية والغربية لنهر النيل، ومن فروعها فرع أمدرمان الذي ينتسب إليه التجاني الكتيابي.

وانتقل بعد ذلك إلى معهد أمدرمان العلمي عام 1926م وبدأ ذهنه يتفتح لإستيعاب العلوم الدينية واللغوية والأدبية والبلاغية ونال منه الشهادة الأولية عام 1930م وأكمل فيه السنة الخامسة ولكنه لم يجلس للإمتحان الذي أُجل لإنتشار وباء السحائي– وبعد العطلة لم يدخل للإمتحان بسبب مشكلة أدت به لترك المعهد. وتختلف الروايات حول الأسباب التي أدت إلى تركه الدراسة بالمعهد، وهل كان ذلك برغبته أم نتيجة لفصله، ومما قيل أن التجاني كان يحمل كتاب (إحياء علوم الدين) للغزالي وكتاب الشوقيات وأراد بيع الأول لأحد تجار الكتب ولكنه أصر على شراء الثاني بإعتبار أن سوقها أكثر رواجاً، ورفض التجاني بيعه لأنه لم ينه قراءته فقال البائع: (إن كتاب الغزالي كله دين وقرآن وأحاديث فكيف تفضل الشوقيات عليه)، فرد التجاني عليه فوراً: (فليكن) فكانت هذه الكلمة الشرارة الأولى التي تناقلها الناس وحمّلوها أكثر مما تستحق وجعلها شيخ المعهد مثار إهتمامه فرغبت نفس التجاني عن المعهد. أما الرواية الأكثر رواجاً فتقول أن الطلاب كانوا يتنافسون ويوازنون بين شعر حافظ وشوقي، وكان بعضهم يـُفضل شوقي والبعض الآخر يـُفضل حافظ، وكان التجاني يناصر الأول وقال لمعارضيه أن الفرق بين شعر شوقي وحافظ كالرفرق بين القرآن الكريم وأي كتاب آخر، وراجت هذه القصة بأن التجاني قال أن شعر شوقي أجود من القرآن الكريم، وهذه القصة نفاها والد الشاعر، كما نفاها الشيخ حامد والاستاذ محمد عبدالقادر الكرف أقرب زملاء التجاني وجاره، وقد أكدوا أن التجاني لم يـُفصل من المعهد وإنما تركه كارهاً له وكان ذلك في عام 1931م.

ثقافته:

ثقافة التجاني ثقافة لغوية دينية استقاها أولاً من دراسته في الخلوة وثانياً من المعهد، كما كان التجاني دائم الإطلاع على المجلات المصرية مثل البلاغ والمقطم والهلال وأبولو، وقد أقر التجاني بفعل الثقافة المصرية قائلاً (كلما أنكروا ثقافة مصر كنت من صنعها يراعاً وفكراً)، وقرأ كتابات طه حسين والعقاد والمازني وقرأ ما نقل من اللغات الأجنبية إلى العربية من شعر وأدب وقرأ كذلك إنتاج شعراء المهجر من قبل.

إطلع التجاني على معظم ما كتب في الأدب السوداني، وكان يقرأ كل الجرائد والمجلات السودانية أولاً بأول. لم يقتصر التجاني على الدراسة النظامية فقد كان يدرس العلوم اللغوية وقد تلقاها على يد الشيخ أحمد المجذوب

بأبي روف، وكان الشيخانمن كبار العلماء المشهورين في أمدرمان في ذلك الوقت، ومتانة اللغة وقوتها تظهر في شعر التجاني واضحة.

شعره وشاعريته:

للتجاني ديوان شعر واحد هو (إشراقة) وقد توفي التجاني قبل طباعته، وقد أخذ الأستاذ مبارك ابراهيم الكراس المخطوط إلى القاهرة بقصد طبعه واستطاع أن ينشر بعض قصائده في مجلة الرسالة وقد سلم الشاعر ابراهيم ناجي الكراسة للإطلاع عليها ولكنه احتفظ بها لفترة طويلة حيث أعجب بأشعارها وطبع الديوان لأول مرة ام 1942م وللمرة الخامسة عام 1967م أما السادسة فقد كانت عام 1972م والسابعة عام 1980م (شعراء مجددون، مصطفى السحرتي، ص140).

وشعر التجاني ينقسم إلى شعر ذاتي وآخر اجتماعي وقد اهتم بقضايا المجتمع وأحس بما يحسه، كما نظم شعراً وجدانياً ولكنه لم يكن ينشط في إنفعلاته، ويؤكد هذا ما قاله السحرتي في هذا الشأن: (كان التجاني يوازي بين شعور الباطن وعقله الواعي، فلم يكن يجري لاهثاً وراء العاطفة، بل كان عقله يقوده إلى واقع الدنيا).

وكما عبر التجاني عن عواطفه وآلامه وآماله وأحزانه وأفراحه إلا أنه عبر عن مشاكل الجماعة وعن ثورة الشباب على الأوضاع السائدة والتقاليد البالية.

وإذا أردنا أن نبدأ دراسة الظواهر الوجدانية على ديوان التجاني فلا يسعنا إل أن نبدأ باسم ديوانه ونعقد المقارنة بينه وبين اسماء دواوين الشعراء الوجدانيين ومنهم ابو شادي وبعض اسماء دواوينه (أنين ورنين)، (شعر الوجدان)، (الشفق الباكي)، ودواوين علي محمود طه هي (الملاح التائه) و (ليالي الملاح التائه) و (أرواح واشباح) و (شرق و غرب) وديوان جميلة العلايلي (صدى أحلامي) وديوان حسن كامل الصيرفي (الألحان الضائعة) وديواني صالح جودت (ليالي الهرم) وديوان (صالح جودت) وديوان مختار الوكيل (الزورق الحالم) وديوان محمود حسين اسماعيل (أغاني الكوخ) وديوان محمود أبو الوفا (أنفاس محترقة) وديوان أبو القاسم الشابي (أغاني الحياة).

وإذا نظرنا لكل هذه الأسماء نلاحظ أنها لا تحتوي على أي معنى من المعاني البهجة أو الإنشراح أو التفاؤل وهذا هو مذهب الوجدانيين الذي خالفه التجاني ويجدر بنا أن نذكر ما قاله الأستاذ محمد محمد علي في حديثه عن التجاني الذي قال فيه: (إن الإحساس باللون النفسي الذي يسود شعره لايمكن أن يكون صحيحاً فديوان التجاني لا بشر فيه، بل هو في معظمه مجتمع عابس). ولا نحب أن نقسو على الشاعر كما فعل الأستاذ محمد محمد علي ولكننا نؤكد قوله: أن عنوان الديوان لا يتناسب مع مابداخله.

تأصيل مصطلح الوجدانية:

(وجد) الواو والجيم والدّال: يدّل على أصل واحد، وهو الشئ يلفه. وَجدْتُ المذّالة وجداناً. (وحكى بعضهم: وجدت في الغضب وجداناً)[24].

والوجدان في أصل اللغة، لما ضاع أو لما يجري مجرى الضّائع في ألاّيعرف موضعه[25].

وفي (الكليات) الوجد: وجدت المال وُجداً– بضم الواو. وفي الغنى جِده– بكسر الجيم–ووجدت المذّالة وجداناً. ووجدت في الحبِّ وجداً بالفتح[26].

ويأتي مفهوم (الوجدان) في الإصطلاح العام، للتعبير عن حالة نفسية وإنفعال عاطفي مُفرِح أو مؤلم. وفي الأدب هو: الإحساس الداخليي لإدراك قيمة العمل الأدبي[27].

لذا تعتبر (الوجدانيّة) قيمة فنية تتمثل في ترجمة ذات الشاعر إزاء الدنيا وعجائبها، ومدى إستجابة نفسه الشاعرة لجمال الطبيعة، ومايعنّ لها.

ولعل الدكتور (عبد القادر القط) هو أول من قرر لنا مصطلح (الإتجاه الوجدانّي)، وأرسى منهجاً متكاملاً لدراسة الشعر العربي المعاصر تحت لوائحه.

العوامل المؤثرة في شعر التجاني:

هنالك عدة عوامل أحاطت بحياة التجاني فجعلت لشعره طابعاً خاصاً، والقارئ لديوانه يمكنه أن يستخلص منه الحياة التي عاشها الظروف التي أحاطت به، قد عاش التجاني ظروفاً معينة تركت أثرها البعيد في شعره.

عاش التجاني فقيراً كما عاش كل الشعب السوداني تقريباً، وذلك أمر طبيعي، وقد كان الإستعمار الإنجليزي المصري جاثماً على البلاد وكان يسلب خيرها ويسخر أهلها لخدمته ولا يوفر لهم أبسط سبل الراحة ولا فرص العمل، وحتى من كان يعمل لا يتوفر له العائد الذي يتناسب مع مجهوده، ولأن التجاني كان مرهف الحس رقيق الشعور فقد أثر الحرمان في نفسه لأن طموحاته عالية الهمة، وقد وقف الفقر عائقاً في وجه كثير من رغباته وأمانيه ومجموعة قصائده.

عندما ترك التجاني المعهد المعهد حاول الذهاب لمصر لإكمال دراسته بها وقد فشلت هذه المحاولة لأن والده أعاده من محطة السكة حديد[29]، وقد تركت هذه هذه الحادثة أثراً بعيداً على حياته لأن مصر في ذلك الوقت كانت قبلة الشعراء وكانت تعيش نهضة أدبية كبرى لذلك لطالما حلم التجاني بالذهاب إليها، وعندما فشل في ذلك ظل طوال حياته يتذكرها ويبثها شوقه وحنينه.

ولم يعش التجاني طويلاً بعد أن أصيب بالمرض، ولكن هذه الفترة على قصرها كانت ذات أثر ملحوظ في شعره، وقد ذكرت معظم الدراسات التي تناولت حياة الشاعر أن استاذه حسين منصور كان له دور مهم في حياة التجاني.

كما كان بالمعهد جمعية ثقافية أنشأها شيخه أبو القاسم وكانت تؤدي دوراً هاماً في تعويد الطلبة على ممارسة الكتابة والخطابة في شتى المجالات، واشتهر التجاني في مشاركته الكتابية أكثر من مشاركته الخطابية، ولا أعتقد أن تركالتجاني للمعهد أثر عليه وذلك لأن التجاني ظل يبكي طوال حياته على مصر ولكنه ولم يفعل نفس الشئ مع المعهد– عدا قصيدة المعهد أما الملل والأسى الواضح في حياته فقد كان من ضيقه بالحياة في السودان لأنه كان أصغر من طموحه.

السمات العامة للشعر الوجداني:

تعتبر (الوجدانيّة) قيمة فنية تتمثل في ترجمة ذات الشاعر إزاء الدنيا وعجائبها، ومدى إستجابة نفسه الشاعرة لجمال الطبيعة، ومايعنّ لها.

ولعل الدكتور (عبد القادر القط) هو أول من قرر لنا مصطلح (الإتجاه الوجدانّي)، وأرسى منهجاً متكاملاً لدراسة الشعر العربي المعاصر تحت لوائحه.

ولّما كان الأدب من المعارف الإنسانية التي ترتبط فيها المصطلحات، ثقافياً وفكرياً، بظروفها المحلية إلى حد بعيد، أثر المؤلف مصطلح (الإتجاه الوجداني) لدراسة تلك الظاهرة الأدبية في الشعر العربي المعاصر، بدلاً عن نظيره مصطلح (الّرومانسية) في الأدب الأوربي.

وعليه فإن (الإتّجاه الوجداني) يمثل تياراً من تيارات الشّعر العربيّ الحديث– من ناحية، ومنهاجاً في قراءة الشعر ونقده– من ناحية اخرى– ولّن من أبرز مميزات هذا الإتجاه الهروب إلى أحضان الطبيعة والتوحد معها، نتيجة للشعور بالغربة واليأس من المجتمع، والحب الضائع الذي يتميز بالصوفية في المعاني وحزن رقيق عميق والتأمل في الحياة وما وراءها.

للشعر مستويات، من حيث دوران التجربة حول الذّات وانطلاق الصورة الفنية من الوجدان، أحدهما: تقليدي تحمل تجربة فيه دلالات مألوفة ترتبط بحدودها في الواقع الخارجي، والآخر: ينطق بأشواق الإنسان العامة واحساسه بالكون والحياة والمجتمع– وإن لم يكن كل شعر وجداني على هذا النحو بالضرورة. وكما يقول الدكتور القط (ومن دوران التجربة حول الذّات وانطلاق الصورة الفنية من الوجدان يتسم الشعر الوجداني بسمات فنية عرف بها، من ميل إلى الصورة الخيالية والتجسيم والألفاظ الشعرية المحملة بدلالات شعورية غير مقيدة بمعانِ مادية محدودة) (الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، ص12).

من ثم فإن مايميِّز شعر الوجدانيين هو يدون ملامح شخصية الشاعر من خلال تعبيره الفنّي عن عاطفة وانفعالاته بشئ من الاستقلال الذّاتي. لذا يعتبر هذا الإتجاه الشعري أكثر الإتجاهات غنائية، لأنه يعبر عن حالة الشاعر فغضّ النظر عن الآخرين. فهو يختلف عن (الإتجاه العلائقي) في أنه لاينتظر إستجابة من الآخرين، كما أنه يخلو من (الجانب الاعلامي)، لأنه لايعتبر عن الجماعة إلا بمقدار ما يعُد الفرد نموذجاً يمثل جماعته مراعياً في ذلك التعبير الجمالّي.

ولعل أهم سمات الإتجاه الوجدانّي في الشعرعامة ما يأتي:

1/ إحساس الشاعر بذاته الفرد، وتعبيره عن تجاربه الخاصّة، وتطلعاته وآماله في الحياة، من حب، وحرية، وكرامة، وتعبيرعن احزانه، وغربته عن مجتمعه، وتأمله في الحياة والكون.

2/ الخيال الشعريّ الجامع الذي يتغير به لون الحياة. فهو بمثابة قوة جوهرية لعملية الخلق الفني يمكن من خلالها بناء عالم مثالي جديد، وفيه توظف الصور الشعرية والرمزية لإخراج قصائد وجدانية رائعة.

3/ العودة إلى الطبيعة، حيث إفتتن الشعراء الوجدانيون بالطبيعة ومزجوها بأنفسهم ووصفوها من خلال عاطفة معذبة ممزقة– إذ وجدوا فيها عوضاً المجتمع المفوض لديهم.

4/ تعبير الشاعر عن قضاياه الخاصة، نتيجة لإحساسه بفرديته وذاته. واتخذ للتعبير عن ذلك صوراً جديدة ابتكرها من خلال ذاته، وبعد فيها عن الصور التقليدية التي تتخذ من الشبه الحسي أساساً لها، واستخدم لذلك ألفاظاً معبِّرة موحية– نقلها من الدلالات التي وضعت لها في اللغة إلى دلالات اخرى جديدة.

5/ الوحدة العضوية، حيث يعتمد الشاعر في بناء قصيدته على الصور الجزئية، ومن مجموعة كبيرة من هذه الصور الجزئية تتكون الصور الكلية الممتدة، والتي تعتبر عن موقف وجدانّي واحد يكسب القصيدة وحدة عضوية وفنية.

الغزل عند إبراهيم ناجي:

كتب ناجي ستاً وخمسين ومائة قصيدة (156) واحدى وستين (61) مقطوعة منها واحدة ومائة قصيدة (101) في الغزل واربعين مقطوعة، ومجمل مانظمه واحد وعشرين وسبعمائة وثلاثة وألف (3,721) بيتاً شعرياً منها ستة وأربعين وأربعمائة وألفين بيتاً في الغزل (2,446) وتمثل هذه الأبيات نسبة ستة وستين بالمائة من شعره (66%) أي ثلثيه، وكتب التجاني سبعين (70) قصيدة ومقطوعة واحدة منها ثلاث وعشرين قصيدة في الغزل

ومجمل ماكتبه أربعة وثمانين وخمسمائة وألف (1584) بيت منها أربعة وثمانون وثلاثمائة (384) في الغزل وتمثل هذه الابيات نسبة واحد وأربعين بالمائة (41%) من شعره.

وصدق على ديوان ناجي الأول (وراء الغمام) قول مقدمه: (يكاد ديوان ناجي أن يكون قصيدة حب واحدة) ويسميه صديقه الشاعر أحمد زكي أبو شادي (بشاعر اللهفة) ويصدق فيه كذلك وصف محمد مندور بأنه (قصيدة غرام).

وقد ذكرنا من قبل أن ناجي مر في حياته بصة حب فاشلة وقد ظل أثر هذه القصة يلازمه حت آخر حياته فذكر لنا هذا الموضوع في قصيدته الثانية (ساعة لقاء)[35] ، في ديوانه الأول عندما قال:

لم تزل ذكـــــراه في بالي وبالك *** كيف ينسى القلب أحلام صباه

قد صحت عيني في فجر جمالك *** كيف ينسى الفجر يافجر الحياة

الغزل: عند التجاني يوسف بشير:

أما الحب عند التجاني فقد تنوعت موضوعاته مع محبوباته اللاتي تنوعن بدورهن، وهاهو يقول في قصيدة (طفرة ساحر) (ديوان اشراقة، التجاني يوسف بشير، ص33) بأنه يسمو بنور الشمس والجمال أينما كان وبالهوى والشذى والندى وأن قلبه طفر من مكانه وذهب إلى قرارة نفسه وأن هذه المحبوبة هزت روحه ثم يخبرنا في البيت قبل الأخير أنها فتاة من لبنان فيقول:

يا هذه عـمرك الله *** هل سمعت بقـيس

وأنت يا ابنـة لبنان *** تعبثين بـرأســـي

ومرة خرى يحب فتاة تنظر إليه من وراء النافذة:

يا ماء محتجبـاً وراء النور *** عجباً خُدعت بفيضك المسحور

ومرة اخرى تكون محبوبته قاصراً، ويسمي القصيدة (هوى قاصر) ويصف محبوبته بالغرور وأنها ساحرة العينين ثارة ويسألها إن كانتواجفة أم أنها تستعرض حبها الذي طواه الأبد ويصفها بالمكر ويختمها بأن محبوبته قاصر فيقول:

يثقلك الحب فتفـضِ به *** وأنت– فديت– أمرؤ قاصر

وفي قصيدة (تعويذة) يطلب تعويذة محبوبته بالرقي وحرقه لتسلم فيقول:

أحرقوا العاشق المدله تسلم *** لكم رقة الملاك الطريـح

وفي قصيدة (ربّ ما أعظم الجمال وأمجد) يمجد جمال محبوبته ويقول لها:

أنت تطري الجمال في كل عين *** نعمت بالجمال في كل مرقد

وفي نفس القصيدة في البيت الأخير ترقص نفسه حتى تكاد تتبدد

رقصت في الفضاء نفسي حتى *** أوشكت من يدي أن تتبدد

الشكوى عند ابراهيم ناجي:

فقد كان ناجي دائم الشكوى والحزن دون سبب معروف فقدكان والده ثرياً علّم ولده حتى صار طبيباً وشاعراً له مكانة مرموقة، تزوج ناجي متأخراً من ابنة محافظ القاهرة وأنجب البنين والبنات وكوَّن أسرة مستقرة.

كانت شكوى ناجي كلها عن الحب الفاشل الذي مر به وها هو في قصيدة (الغريب) (ديوان ليالي القاهرة، إبراهيم ناجي، ص245) يخاطب محبوبته قائلاً لها:

أرنو إلى الناس في جموعهم *** أأشقتهم الحادثات أم سعدوا؟
تفرقوا أم بها احتشدوا *** وغوَّروها بطين أم صعدوا
إني غريب تعال يا ساكني *** فليس لي في زحامهم أحد

ففي البيت الأول حيرة وقلق يتم عليه تساؤله.

وهو ينادي محبوبته في البيت الأخير فبعاد هذه المحبوبة هو السبب الذي يجعله يحس بالغربة وهو يعيش وسط أصدقائه وأسرته فقد ظل يردد تلك المعاني مرات كثيرة ومنها ما قاله في قصيدة (آمال كاذبة):

وأنا غريب في الزحام كأني *** آمال أجفان حرمت رقادا
ولقد ترى عيني الجموع فما ترى *** دنيا تموج ولا تحس عبادا

ولعل ذلك من أبرز سمات الوجدانية فهنا أيضاً يؤكد غربته وسط زحام الناس.

وقد ظل ناجي يؤكد معنى الإغتراب كثيراً في شعره من ذلك قوله في قصيدة (من ن إلى ع):

عمري سراب في بقايا سراب *** وكل أيامي المواضي اغتراب

الشكوى عند التجاني يوسف بشير:

أما التجاني وإن توفرت له أسباب الشكوى إلا أنه لم يكثر منها كما أكثر ناجي. لذلك نجده بث شكواه في قصيدتين الأولى (نفسي) (ديوان إشراقة، التجاني يوسف بشير، ص53) ويبدأها بقوله:

هي نفسي من سمـاء الله *** تحبو مع القرون وتبطي
وهبت للجمال أقدس عقد *** من أهازيجها وأكرم قرط
وأفاضت على الصبا آيات *** من النور في غلائل خط
نضرتها يد الربيع وجالت *** في حواشيها برفق وضغط

وإذا رجعنا لكلمات التجاني– وهبت للجمال – عقد– وأهازيج– النور – نضرتها– الربيع– وإن رجعنا للمعاني التي صاغ منها هذه الكلمات لوجدت فيها روح التفاؤل والأمل. ولخص لنا اساه كله في الحياة في بيت واحد هو :

هي قسطي من السماء فما أضيع *** في العالم الترابي قسطي

يبين لنا التجاني في بيته السابق تعاسة حظه ولكنه لا يبلغ الحد الذي وصفه ناجي وتحدث عنه.

وفي أبيات التجاني السابقة يتضح لنا إحدى سمات الوجدانية العودة إلى الطبيعة ومناظرها حيث إفتتن التجاني بها وكتب فيها وعن الجمال.

لم يكن التجاني سعيد فهو أيضاً قد اشتكى وعانى الضيق والإحباط، ولكننا سرعان ما نعرف ذلك السبب فها هو يقول في قصيدة (إليَّ):

يا مهيمن الجناح كم أمل *** تبقي وكم في السماء تطلب
تود مصر الزمان وهي كما *** يأمل الشباب منها مطلب

خاتمة البحث:

نتائج البحث:

1. يعتبر الشعر الوجداني من المواضيع القديمة التي تعبر عن وجداني الشعراء.
2. الشعر الوجداني يعبر فيه الشاعر ما بداخله من فرح أو حزن
3. يرتبط الشعر الوجداني ببيئة الشاعر والحياة التي يعيشها.

4. يعلب الشعر الوجداني دور كبير في مواضيع الشعر العربي الحديث.

التوصيات:

1. تشجيع البحث الميداني عبر الطرق العلمية لجميع موضوعات الشعر الوجداني والفرق بينه وبين الرومانسي.

2. يوصي الباحث بتصميم منتديات ومطارحات شعرية تشتمل على موضوعات مختلفة من موضوعات الشعر الحديث والقديم.

المصادر والمراجع:

1. جاد الله الطاهر: التجاني يوسف بشير – عصره – حياته – شعره (د. ت).

2. خفاجي: دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه، (د. ت).

3. خير الدين الزركلي: الأعلام، تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، الجزء الأول، دار العلم للملايين، (د. ت).

4. د. أحمد هيكل: تطور الأدب الحديث في مصر، (د. ت).

5. د. نافع محمود: اتجاهات الشعر الأندلسي إلى نهاية القرن الثالث الهجري، دار الشئون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، (1990م).

6. شوقي ضيف: الشعر العربي المعاصر في مصر، (د. ت).

7. فادية أحمد مصطفى عبد الباقي: مقدمة من رسالة ماجستير الاتجاه الوجداني في الشعر الصيرفي، كلية الآداب، جامعة القاهرة، (1999م).

8. محمد عبد المنعم خفاجي: قمة الأدب المعاصر في مصر، الجزء الأول، الطبعة الأولى، المنبرية في الأزهر، (1956م).

9. محمد محمد علي: محاولات في النقد، مطبعة التمدن، الخرطوم، (1985م).

10. هنري رياض: التجاني شاعراً وناثراً.